

الخير على الشر فيمحوه من الوجود . أما رفته عليه فهي ثابتة
بنص الكتاب المقدس الذي أسلفنا الإشارة إليه . وإليك شيئاً
من هذا النص :

« استمعوا بأذانكم الأشياء الجيدة وانظروا فيها بوضوح
حتى تصمموا على أحد الايمانين ، لأن كل إنسان يجب عليه أن
يصمم هو بنفسه قبل الفناء النهائي لكي يتكون حظ كل واحد
منكم حسب اختياره .

إذاً ، فالروحان الأولان اللذان ظهرا في الوجود كتوءمين
هما : الخير والشر ، وهما دائماً في التفكير والقول والعمل والحكمة
قد اختاروا بينهما ، وحسناً لاختاروا ، ولكن الغالب هم الذين
أساءوا الاختيار . وعند ما تقابل هذان الروحان في مبدأ الوجود
أساس الحياة و « اللاحية » . وفي نهاية الأشياء سيكون أوداً
أنواع الوجود من نصيب الذين يتبعون الكذب كما يكون أحسن
الفكر من نصيب الذين يتبعون الخير . . . » إلى أن يقول :

« أيها القانون ، إذا أتمم أتعلم أوامر « ما زدا » الذي نظم
السعادة والألم ووضع قاعدة العقاب الطويل للكذابين وبارك
الأخيار فانكم ستفوزون بالسعادة الأبدية (١) »

قد رأيت من هذا النص سمو « ما زدا » على « أهرمان »
من جميع النواحي ، وعلى الخصوص من ناحيتي الأخلاق والأبدية ،
ولكن هذا الاله مع سموه وجلاله لم يسلب القوة والإرادة من
البشر حتى ولا الأشرار منهم ، بل ترك لهم من الإرادة ما يكاد
يساوي إرادته نفسها ، ليكونوا كامل الحرية في الاختيار . ولولا
هذه الحرية لما رأينا الكذب والشر يسودان كثيراً على هذه
الأرض وينتصران أحياناً على الخير ؛ وهذه السيادة وذلك
الاتصار كانا أحياناً يدفعان « زرادشت » إلى التشاؤم واسوداد
المزاج كما يظهر ذلك في الأنشودة الآتية : « نحو أي بلد أفر أو
أججو بنفسى ؟ لقد فصلت من النبلاء ومن أمثالي ، والشعب ليس
مسروراً مني ولا الكذابون الذين يحكمون البلاد أيضاً . ما ذا
أعمل لأرضيك أنت يا (مزدا أهورا) ؟

أنا أعرف جيداً لماذا لم أحرز أي نجاح : ذلك لأنني ليس لدى

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١٩ —

الديانة الفارسية

الزرادشتية ومصدرنا عنها

ليس لدى الباحث عن الديانة « الزرادشتية » إلا مصدر
واحد ، وهو كتابها المقدس : « زند أفيستا » الذي وإن كان لم
تم جمعه إلا حوالي القرن السادس بعد المسيح إلا أنه قد احتوى
على جزء عظيم يدعى « جاتها ياسنا » وهو الذي يرجح جميع العلماء
نه كلام « زرادشت » نفسه ويرجعون تاريخه إلى القرن السابع
والعاشر قبل المسيح على ما اختلفوا في وجود النبي الفارسي
كما أسلفنا . وما ليس من كلام « زرادشت » من هذا القسم
يو — في رأى الكثرة المطلقة من الباحثين — يمثل « الزرادشتية »
أولى حق تمثيل ، ويصح أن يعتمد عليه في تاريخ العصر الأول
من عصور هذه الديانة . وهذا القسم قد وجد مكتوباً بلغة قديمة
رجع إلى ذلك التاريخ الذي عينه العلماء .

البتافيزيكا

يجد الباحث في قسم « الجاتها » أن « زرادشت » أرجع
بيع آلهة العهد القديم إلى إلهين اثنين : إله الخير « أهورا
زدا » أو « هورمازاد » أو « هرموز » ؛ وإله الشر أو الكاذب
« الردي » ، وهو الذي سيمسى فيما بعد بـ « أهرمان » في رأى
محققين . ولكن هذه التثنية ليست على علاقتها ، ولم تكن تثنية
متناها الصحيح ، لأن الاله الذي خلق الكون هو « أهورا »
يا « أهرمان » فلم يكن له عمل إلا إيجاد شبه ظل من الشر
لكل خير يخلفه « أهورا » وهو وإن كان أزلياً كزدا ، لأنه
مردى له إلا أنه ليس أبدياً مثله ، إذ هو سيفنى عند ما يتغلب

مال ولا رجال . أنا أدعوك يا (أهورا) أن تمنحني مساعدتك كما يساعد الصديق صديقه .

يا « مازدا » متى تشرق شمس انتصار الخير في العالم بوساطة الحكمة السامية المثلثة في المحررين الذين سيحيون (١) ؟ .

لم تقبل هذه التثنية « الزرادشتية » إلا أثناء حياة مؤسسها ، أما بعد موته فقد دار حولها الجدل ولم يفهم الناس هذه الموازنة العقدة التي وضعها زرادشت بين الخير والشر . وما زال هذا الجدل يعمل عمله حتى انتهى حوالى القرن الرابع بعد المسيح باحداث تغيير جوهرى في هذه الديانة ، فذهب فريق من رجال الدين إلى إنكار التثنية بتاتا وإعلان التوحيد حيث صرحوا بأن « مازدا » هو الإله الأوحده ، وأن « أهرمان » ليس خصمه له وإنما هو خصم روح القدس في « مازدا » إذ هذا الأخير يحتوى على روحين : أحدهما خير والثانى شرير (٢) .

الملائكة والأرواح الخفية

يتحدث كتاب « زند أفستا » عن عدد من كبار الملائكة كانوا وزراء لأهورا مازدا ، وقد حددهم القسم المتأخر من هذا الكتاب بستة وزراء ، كل واحد منهم له اختصاص معين وعمل محدود ؛ موزاراتهم هى كما يأتي : (١) الفكرة الخيرة . (٢) الفضيلة الجسدى . (٣) الامبراطورية الشهباء (٤) التنازل الكريم . (٥) الصحة (٦) الخلود

هؤلاء هم رؤساء الملائكة الذين يكونون الهيئة العليا التى تلى « أهورا » مباشرة . وهناك عدد عظيم من صفار الملائكة ومن الأرواح والجن ، لكل واحد منهم أيضا مهمة يقوم بها ومنزلة يشتملها ، وهذه المهمات تختلف فى جواهرها كما تختلف فى قيمتها ، فبعضها أخلاقى كصفار الأعمال الخيرة ، وبعضها مادى كالعناصر والنباتات المختلفة . ولقد أخذ هذا العدد الأخير يتضاعف وترداد سلطته حتى طغى أو كاد على الديانة الزرادشتية ولو فى البيئات العامية على الأقل حيث عاد بالجاهل إلى عبادة العناصر كما كانت الحال فى الديانة القديمة . وقد بعث « ميهرا » من جديد وأصبحت النار والشمس والقمر والنجوم ملائكة ثم آلهة ، واستردت أهميتها

(٢) ياسا آية ٤٦

(٢) راجع (١) . (ف) « جاكوت » . دراسة الزرادشتية
صفحة ٧٠ طبعة نيويورك سنة ١٩٢٨

الأولى فى تلك الأوساط وعاد إلى الوجود من جديد « أهورا » إله الخير الذى رأيناه فى الديانة الأولى كما حدثت خرافات أخرى لم يكن للفرس عهد بها من قبل كذلك العملاق ذى الأرجل الثلاث والذى له أهمية فى إدارة العالم . ولكن ينبغى أن نلاحظ أن مازدا هو الذى كان لا يزال الإله الرئيس على جميع هؤلاء ، ولم يكن الآخرون إلا آلهة ثانويين أو ملائكة أو أرواحا .

هؤلاء جميعاً هم أعوان « مازدا » أو هم الحزب الأعلى ؛ أما الحزب الأدنى أو أنصار إله الشر فهو يتألف طبعا من « أهرمان » رئيساً ، وقد كان الشعب فى أول الأمر يتمثله فى ثمان أو فى ذكر الضفدع أو فى حيوان ردى مزعج أو فى حصان جمع وتوحش ثم استطاع أحد الملوك أن يقبض عليه ويخضعه ، ولكن لما تقدم الشعب وارتقت عقليته لم يمد يده إلى الشر على هذه الصورة المادية الساذجة ، وإنما خطا به نحو التصوير المنوي فرفعه إلى عالم المدركات العقلية وجعل له وزراء ستة كأهورا يختص كل واحد منهم بعمل من أعمال الشر والسوء ، وعلى رأس هؤلاء وضعوا « أندرا » الإله الشعبى القديم ، ولكن تحت اسم وزير سابع خاضع لأهرمان . ودون هؤلاء الوزراء وضع رجال الدين أيضاً ملائكة شر وأرواح سوء وشياطين وسوسة وضلال ، وذلك مثل ملك الرعد وملك العواصف المدمرة ، وكالأرواح الحائلة فى الحيوانات المؤذية والحشرات الضارة ؛ وهناك أيضاً من هذا الحزب شياطين موكل كل واحد منها برذيلة من الرذائل ، عليه أن ينمىها وينشرها ويعلى شأنها (١)

لم يكف رجال الدين بهذا التقسيم ، بل ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فميناوا شمال بلاد فارس كاستقر لأرواح الشر وشياطينه ، وعلموا الشعب بعض تعاويذ سحرية إذا قرأها المؤمن فرت من أمامه أرواح الشر وتضعفت قوتها وهوت إلى مكان سحيق . وكان أهم هذه التعاويذ ما أخذ من الكتاب المقدس ثم قرئ بطريقة خاصة ولهجة معينة ورتة موقفة .

الإنسان أو الشفعية البشرية

لم يوجد فى القسم القديم من « زند أفستا » ما ينبئنا برأى

(١) انظر تفصيل كل هذا فى كتاب .. جاهمون الذى أشرنا إليه آت
من صفحة ٣٧ إلى صفحة ١٠٩

المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم « ميتها » وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت وفي الأخرى سيئاته . وبناء على صعود إحدى الكفتين يصدر الحكم على مصير هذا الميت .

ويلاحظ أن الثواب والعقاب لم يكونا يُنصبان على كل حسنة أو كل سيئة على حدة ، بل على مجموعة النوعين ، فإذا رجحت الحسنات كفرت السيئات مهما كانت كل واحدة منها في ذاتها جسيمة ؛ كما يلاحظ أن الندم والتوبة لم يكونا معتبرين ، وأن الفران في الحساب لا وجود له ألته لأنه مؤسس على العدل لا على الرحمة .

وعلى أرائه الوزن وصدور الحكم يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر أو الصراط الممتد فوق الجحيم ، الذي يتسع أمام الأخير ويضيق حتى يكون أدق من الشعرة وأحد من الشفرة أمام الأشرار .

فهؤلاء الآخرون يهونون في جحيم مظلم ظلاماً كثيفاً إلى حور يستطاع معه لسه باليد ، فاذا هوروا في الجحيم كانوا متراحمين كأنهم كمية من الشعر في مسرفة حصان ، ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر في وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعزلة ممضة . أما الأخير ، فيذهبون إلى النور حيث يستقبلهم « أهورمازدا » بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخير والفكر الطيبة ، وهناك يستمتعون في كنف « مازدا » بالسعادة الأبدية .

هذا كله بالنسبة لمن ثقلت موازينهم أو خفت ؛ أما من استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فهم يوضعون في مكان فسيح بين السماء والأرض ، يقاسون فيه آلام الحر والبرد ، ويحسون بجميع التغيرات الجوية ، ويظلون ينتظرون في أمل ورهبة الحكم الأخير على مصيرهم الذي يظل مظلماً ماداموا في هذا المكان . وأشهر أهل هذا الموضع هو : « كيرزاشا » الذي قتل وحشاً مربعاً فحسب له ذلك حسنة ، ثم دنس النار القدسة فحسبت عليه سيئة مساوية للحسنة الأولى فظل بين النعم والجحيم^(١)

محمد محمود

« يتبع »

زرادشت في الشخصية البشرية من : جسم وروح من حيث المبدأ أو المصير ، وإنما كل ما لدينا في هذا الشأن قد وجد في الأجزاء الأخيرة التي كتبت بعد عصر زرادشت زمن غير يسير ، أي بعد ما ارتقت المعارف الإنسانية نوعاً ما وبدأ الخاصة يفكرون في ثنائية الانسان ويحلونه إلى جسم وروح .

يجد الباحث في هذه الآيات المتأخرة أن الانسان يتألف من جسم وروح وأن الجسم يتكون من أربعة أشياء : اللحم والعظم والقوة الحيوية والصورة أو القالب ، وهذا الأخير هو وحده الذي يعود إلى الحياة في حالة البعث دون الثلاثة الأولى التي لا تبقى وأما الروح ، فهي عندهم خمسة أنواع ، بين كل واحد منها وبين الأربعة الأخرى شيء من الترادف أو التقارب يجعل التحديد الدقيق صعباً أو كما يقول أحد الباحثين الأوربيين « إن مفردات لغتنا لا تستطيع التعبير الصحيح عن هذه الماني » . وهناك هذه الأقسام الخمسة للروح :

(١) النفس والالهام والعقل (٢) الدين والضمير الخلق والوحي (٣) الوجدان النفسي والشعور والاحساس (٤) الروح بأدق معاني الكلمة (٥) الفراقشي . وهو عبارة عن شبح سماوي هو في نفس الوقت ملك حارس وروح جوهرية ، وعلى الجملة هو الانسان الحقيقي الذي ليس الكائن البشري إلا مظهراً له ، وهو وحده الذي يستطيع أن يتصل بأهورامازدا ويحيا في حضرة ، ولهذا عند الموت يفني الانسان كله في هذا « الفرفلغشي »^(١)

مصير الروح

عند ما يموت الميت تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليال معلقة إلى جانب الجسم ، منعمة بنعيمه أو معذبة بعذابه ، وفي فجر اليوم الرابع يهب عليها ريح إما معطرة إذا كان الميت خيراً ، وإما تنفة إذا كان سيئاً فتحملها إلى موضع تلتق فيه إما بفتاة جميلة ، وإما بمجوز مفزعة ، وليست الأولى فتاة حقيقية ولا الثانية مجوزاً حقيقية ، وإنما هي صورة أعمال الميت ، وهي ضميره نفسه الذي سيقوده إلى حيث معبر الحساب والحكم الأخير . وعلى باب هذا

(١) راجع كتاب « مولون » صفحات ٢٥٤ وما بعدها و« جاكون » صفحات ١٢٣ وما بعدها